ثم دخلتْ سنةُ أربعَ عشرةَ وستٍّ مئة[١]

قال أبو المُظَفَّر: ففيها قَدِمَ شيخُ الشيوخ صَدْرُ الدِّين بن حَمُّوية إلى بغداد رسولاً من العادل، وقَدِمَ بعده ولدُه فخر الدين رسولاً من الكامل بن العادل إلى أخيه المَعَظَّم في خِطْبة بنته لابنه[٢].

وحضر[٣] المعتمد لطرح البلاطة الخاتمة بيده بحضرة مقصورة الخَضِر في ثالث المحرَّم[٣].

وفيها قُدِمَ بأَسْرى فرنج، وعلى صَدْرِ كلِّ واحدٍ منهم رأسُ فرنجي مقتولٍ معلَّق، وأُحضرت خيمة فرنجية سرقها العَرَب من مخيَّم الفرنج بظاهر عكا، قيل: إنها كنيسةٌ لهم، فَنُصِبَتْ في الميدانِ الأَخْضر الصَّغير، وعُمِلَ فيها طعامٌ للفقراء.

وفيها ذكر محيي الدِّين محمد بن يحيى بن فَضْلان الدَّرْسَ في النِّظامية.

وفيها زادتْ دِجْلة زيادةً عظيمة، وركب الخليفة في شبَّارة، وخاطبَ النَّاس، وجَعَلَ يتأوَّه لهم ويقول: لو كان هذا الماء يُرَدُّ بمالٍ أو حَرْبٍ دَفَعْتُهُ عنكم، ولكنَّ أمرَ الله ما لأحدٍ فيه حِيْلة، وانهدمت بغدادُ بأسرها والمحالُّ، ووصَلَ الماء إلى رأس السُّور، وبقي مقدار أصبعين حتى يَطْفَحَ على السُّور، فأيقنَ النَّاسُ بالهلاك، ودام سبعَ ليالٍ وثمانية أيام، ثم نَقَصَ الماء، وبقيتْ بغداد من الجانبين تلولاً لا أثر لها[٤].

---

(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ).

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

(٤) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ)، وعد الذهبي هذا الخبر من مجازفات سبط ابن الجوزي، انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، وقال: العجب من أبي شامة ينقل أيضاً هذا ولا يبالي بما يقول!

obeikandl.com

قال: وفيها قَدِمَ محمد خوارزم شاه إلى هَمَذَان على قصد بغداد في أربع مئة ألف على ما قيل، وقيل: ست مئة ألف، واستعدَّ له الخليفة، وفرَّق الأموال والسِّلاح. وأرسل إليه الشيخَ شهابَ الدين السُّهْرَوَرْدِي في رسالة[1] فأهانه واستدعاه، وأوقفه إلى جانب تخته، ولم يأذن له في القعود، فحكى شهابُ الدين، قال: استدعاني، فأتيتُ إلى خيمةٍ عظيمةٍ لها دِهْليز لم أر في الدنيا مِثْلَه، والدِّهْليز والشقة أطلس، والأطناب حرير، وفي الدِّهليز ملوك عراق[2] ١٠١
العجم على اختلاف طبقاتهم: صاحب هَمَذَان، وأصفهان، والرَّي وغيرها، ثم دخلنا إلى خيمةٍ أُخرى إبْرَيْسَم[3]، وفي دِهْليزها ملوك خُرَاسان: مرو، ونَيْسابور، وبَلْخ، وغيرها، ثم دخلنا خيمةً أخرى وملوك ما وراء النهر في دِهْليزها كذلك ثلاث خيام، ثم دخلنا عليه وهو في خركاة عظيمة من ذهب، وعليها سجافٌ مُرَصَّع بالجواهر، وهو صبي له شَعَراتٌ، قاعدٌ على تختٍ ساذج، وعليه قَبَاء بخاريٌّ يساوي خمسة دراهم، وعلى رأسه قطعةٌ من جلدٍ تساوي دِرْهماً. فسلَّمْتُ عليه، فلم يَرُدَّ، ولا أمرني بالجلوس، فشرعت، فخطبت خطبةً بليغة ذكرت فيها فَضْل بني العَبَّاس، ووصفتُ الخليفة بالزُّهْد، والوَرَع، والتُّقى، والدِّين، والترجمان يعيد عليه قَوْلي، فلما فرغتُ قال للترجمان: قل له هذا الذي تصفه ما هو في بغداد، بل أنا أجيء وأُقيمُ خليفةً يكون بهذه الأوصاف. ثم رَدَّنا بغير جواب، ونَزَلَ الثلج عليهم، فهلكت دَوابُّهم، وركب خوارزم شاه يوماً، فعثر به فرسه، فتطيَّر، ووقع الفساد في عسكره، وقلَّتِ الميرةُ، وكان معه سبعون ألفاً من الخطا، فَرَدَّه الله تعالى[4].

---

(١) في رسالة، ليست في الأصل و(ب).

(٢) قوله: عراق، ليست في (ك) و(ع) و(س).

(٣) أي حرير.

(٤) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ).

قلتُ: وذكر المنشئ محمد بن أحمد النَّسَوي في كتابه الذي ذكر فيه وقائع التَّاتار مع علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور، ومع ولده جلال الدين ـ وقدِ اختصرتُهُ ـ قال: حكى القاضي مجير الدين عمر بن سَعْد الخوارزمي أنه أُرسل إلى بغداد مراراً، آخرها مطالبة الدِّيوان بما كان لبني سَلْجوق من الحكم والملك ببغداد، فأبَوْا ذلك، وأصحب في عَوْدِهِ بالشيخ شهابِ الدِّين السُّهْرَوَرْدِي رسولاً مُدافعاً قال: وكان عند السُّلْطان من حُسْنِ الاعتقاد برفيع منزلته ما أوجبَ تخصيصَهُ بمزيدِ الإكرام، ومزية الاحترام تمييزاً له عن سائر الرُّسُل الواردة عليه من الدِّيوان، فوقف قائماً في صَحْن الدَّار، ثم أُذِنَ للشيخ في الدخول، فلمَّا استقرَّ المجلسُ بالشَّيْخ، قال رحمه الله: إنَّ مِنْ سُنَّةِ الدَّاعي للدولة القاهرة أن يُقَدِّمَ على أداء رسالته حديثاً من أحاديث النبيِّ ﷺ تيمُّناً وتبرُّكاً. فأذِنَ له السُّلْطان في ذلك، وجلس على رُكبتيه تأدُّباً عند سماعِ الحديث، فذكر الشَّيْخُ حديثاً معناه التحذير من أَذِيَّة آل العَبَّاس رضي الله عنه. فلما فَرَغَ الشَّيخ من رواية الحديث، قال السلطان: أنا ما آذيت أحداً من ولد العباس، ولا قَصَدْتُهُمْ بسوء، وقد بلغني أنَّ في محابس أمير المؤمنين منهم خَلْقاً مخلَّدين يتناسلون بها، فلو أعاد الشيخ الحديثَ بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أَوْلى وأنفع. فعاد الشيخ والوَحْشة قائمةٌ بحالها، ثم عَزَمَ على قَصْدِ بغداد، وقَسَمَ نواحيها إقطاعاً وعملاً، وسار إلى أن علا عقبةَ أسدَ أباد، فنزلَ عليه ثلوجٌ طمَّتِ الأباطحَ والأعلام، وغَطَّتِ الخراكي والخيام، ودام ثلاثةَ أيام بلياليها، فَعَظُمَ إذ ذاك البلاء، وأعضل الدَّاء، وشَمِلَ الهلاكُ خَلْقاً من الرِّجال، ولم يَنْجُ شيءٌ من الجِمال، وتَلِفَتْ أيدي رجالٍ وأَرْجُلَ آخرين؛ فَرَجَعَ السُّلْطان عن وجهه ذلك على خيبةٍ مما هَمَّ به، ويأسٍ من مطلبه[1].

(١) انظر «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» ص ٥٠ ـ ٦٤، ط. القاهرة، وقد اختصر أبو شامة كلامه هنا اختصاراً آخر، وانظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٨٩ من هذا الجزء.

وفيها كانت جَفْلَةُ السُّلْطانِ العادل من الفرنج لمَّا اجتمعوا وخرجوا عليه، ووصلوا إلى عين جالوت وهو ببيسان، فأحَرَقها[1]، وظَهَرَ إلى جهة عجلون، ووصل الفوَّار، وقطع الفرنج خلفه الأُرْدُنّ، وأوقعوا باليزك[2]، وغاروا على البلاد، وورد الأمر إلى المعتمد والي دمشق بالاهتمام والاستعداد، واستخدام الرجال؛ وتدريب دروب قَصْرِ حَجَّاج[3] والشَّاغور، وطَرَفِ البساتين، ونَقْلِ غَلَّةِ ١٠٢
داريَّا إلى القلعة، وتَغْريق أراضيها بالماء، فإنَّ الفرنجَ مظهرون قَصْدَها، واختبط البلد لأجلِ هذه الشَّناعة، وأرسل السُّلْطانُ إلى ملوكِ الشرق مستحِثّاً لعساكرهم، ووصل إلى مَرْج الصُّفَّر، ونَزَلَ به بنيَّةِ المقام لاجتماع العساكر إليه، ورَدَّ خزانته إليه بعد أن كانت وصلت في السَّحَر إلى مسجد القَدَم للدخول إلى دمشق، وجَفَلَتْ أهلُ القُرَى من عَقْربا وحَرَسْتا وغيرهما، وغلتِ الأسعار، وعَزَمَ النَّاسُ على النُّزوح عن البلد متى تحقَّقوا طلوع الفرنج من الغَوْر، وكان للنَّاس ضجيجٌ بالجامع في أوقات الصَّلوات، وبكاء ودعاء، ثم رَجَعَ الفرنج متوجِّهين إلى عكا بمن حَصَلَ في أيديهم من الأسارى بعد أن كانت غيارتهم قد وصلت إلى زحر النَّصارى وما قَرُبَ منها، وإلى أفيق، وإلى كثيرٍ من أعمال الشَّعْراء، والنَّاسُ بين أيديهم جافلين.

ووصل الملك المجاهد أسد الدِّين صاحب حِمْص مع مَنِ اجتمع معه من العساكر لنجدة الإسلام، ولم يبق بالبلد أحدٌ إلا خَرَجَ لتلقِّيه، وكان يوماً مشهوداً، طلعَتْ له الشَّمْسُ عند حرستا فما وَصَلَ إلى البلد إلا وقت الظهر من كَثْرَة النَّاس في طريقه، ودَخَلَ من باب الفَرَج، ومضى على فوره إلى دار ستِّ

(١) رواية سبط ابن الجوزي الآتية تدل على أن العادل لم يحرق بيسان، وانظر كذلك «الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٢) كلمة فارسية تعني: الحرس، أو طلائع الجيش، انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي.

(٣) من هنا يبدأ خرم في الأصل، حتى قوله: وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون، والمثبت من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

الشَّام[١] أُخت العادل الكُبرى، أقام عندها ساعة، ثم عاد إلى داره، وباتَ بها، وأصبح متوجِّهاً إلى السُّلْطان، فسكَنَتْ نفوسُ النَّاسِ بدمشق إلى قدومه، وزالَ خوفُهم.

وقال أبو المظفر: **وفيها** انفسختِ الهُدْنة بين المُسْلمين والفرنج، وجاء العادل من مِصْر بالعساكر، فنزل على بَيْسان، والمُعَظَّم عنده في العساكر الشَّامية، وخَرَجَ الفرنج من عكا ومقدَّمهم ملك الهنكر، فنزلوا عين جالوت في خمسةَ عشر ألفاً، وكان شجاعاً مقداماً، ومعه جميعُ ملوكِ السَّاحل، فلمَّا أصبحوا رَكِب الهنكر في أوائلهم وقَصَدَ العادل، وكان العادِلُ على تَلِّ بيسان، فنظَرَ، فرأى أنه لا قِبَلَ له بهم، فتأخَّر، فقال له المُعَظَّم: إلى أين؟ فشتمه بالعجمية، وقال له: بمن أقاتل؟ أقطعتَ الشَّام مماليكك، وتركتَ أولادَ النَّاسِ الذين يرجعون إلى الأصول! وذكر كلاماً في هذا المعنى، وساق، فَعَبَرَ الشَّريعةَ، وجاء الهنكر إلى بَيْسان، وبها الأسواقُ والغِلال والمواشي شيء لا يعلمه إلا الله تعالى، فأخذ الجميع، وارتفع العادِل إلى عجلون، ومضى المُعَظَّم، فَنَزَلَ بين نابُلُس والقدس على عقبة اللبن خوفاً على القُدْس، وأقام الفرنج على بَيْسان ثلاثةَ أيام، ورحلوا طالبين قَصْرَ ابنِ معين الدِّين. وسار العادل، فنزل رأس الماء، وصَعِدَ الفرنج عقبة الكرسي إلى خربة اللصوص والجولان وأقاموا[٢] ثلاثةَ أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون، ثم عادوا ونزلوا الغَوْر، وبَعَثَ العادِلُ أثقاله إلى بُصْرى ونساءه، وأقام على رأس الماء جريدةً، ولما نَزَلَ الفرنجُ الغور جاء العادل فنزل عالقين.

ثم نزل الفرنج تحت الطور يوم الأربعاء ثامن عشري شعبان، وأقاموا إلى

---

(١) كانت دارها قبلي البيمارستان النوري، وقد وقفتها بعد موتها مدرسة للشافعية، وهي التي تعرف بالمدرسة الشَّامية الجوانية، انظر ٣١٦، ٣٢١ من هذا الجزء.

(٢) إلى هنا ينتهي الخرم في الأصل. انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٢٨٣ من هذا الجزء.

يوم الأحد ثاني رمضان، وكان يوماً كثير الضَّباب، فما أَحَسَّ بهم أهلُ الطُّور إلا وهم عند الباب قد ألصقوا رماحهم بالسُّور، ففتح المسلمون الباب، وخَرَجَ إليهم الفارس والرَّاجل، وقاتلوهم حتى رَمَوْهم أسفلَ الطور، فلما كان يوم الثلاثاء رابع رمضان طلعوا بأَسْرهم ومعهم سُلَّمٌ عظيم، فزحفوا من ناحية بابِ دمشق، وألصقوا السُّلَّم بالسُّور، فقاتلهم المسلمون، ودخلتْ رماحُ الفرنج من المَرَامي من كلِّ ناحية، فضَرَبَ بعضُ الزَّرَّاقين السُّلَّم بالنِّفْط، فأحرقه، وقُتِلَ عنده جماعةٌ من أعيان الفرنج منهم كند كبير، فلما رَأَوْه مقتولاً صاحوا، ١٠٣
وبكوا، وكسروا عليه رماحهم. واستُشْهد في ذلك اليوم من أبطال المسلمين الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم، وسيف الدين بن المَرْزُبان، وكانا من الصَّالحين الأجواد. وأغلق المسلمون بابَ الطور، وباتوا يداوون الجرحى، واتفقوا على أنهم يقاتلون قتال الموت، ولا يُسَلِّمون أنفسهم لئلا يجري عليهم ما جرى على أهلِ عكا. وكان في الطور أبطالُ المسلمين، وخيارُ عسكر الشَّام، وأوقد الفرنج حول الطور النِّيران، فلما كان وقتُ السَّحَر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا، وجاء المُعَظَّم، فصَعِدَ الطور، وأطلق المال والخِلَع، وطَيَّبَ قلوبَ النَّاس. ثم اتفق العادِلُ والمُعَظَّم على خَرَاب الطور كما سيأتي ذكره[١].

وقيل: إنَّ المُعَظَّم أنفذ كتاباً إلى الخليفة، وفي أوَّله بيتان، وهما للأمير عبد المحسن الكاتب الحلبي:

قُلْ للخليفةِ لازالتْ عساكِرُهُ   لها إلى النَّصْرِ إصْدارٌ وإيرادُ
إنَّ الفرنج بحِصْنِ الطُّور قد نزلوا   لا تَغْفُلَنَّ فحِصْنُ الطُّور بغدادُ[٢]

ولما انفصل الفرنج عن الطُّور قَصَدَ ابنُ أخت الهنكر جبل صيدا، وقال: لابُدَّ لي من أهل هذا الجبل. فنهاه صاحبُ صيدا: وقال: هؤلاء رماةٌ، وبلدهم

(١) انظر ص ٢٩٨ من هذا الجزء.
(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ).

وَعْرٌ. فلم يقبل، وصَعِدَ في خمس مئةٍ من أبطال الفرنج إلى جزّين ضيعة الميادنة قريباً من مَشْغَرى، فأخلاها أهلُها، وجاء الفرنج، فنزلوا بها، وترجَّلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدَّرَتْ عليهم الميادنة من الجبال، فأخذوا خيولهم، وقتلوا عامَّتهم، وأسروا ابنَ أختِ الهنكر، وهرب مَنْ بقي منهم نحو صيدا، وكان معهم رجلٌ يقال له الجاموس من المُسْلمين قد أسروه، فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقاً سهلاً أوصلكم إليها. فقالوا: إن فعلتَ أغنيناك. فَسَلَكَ بهم أودية وعرةً، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون؛ ففهموا أن الجاموس غَرَّهم، فقتلوه، ولم يُفْلت منهم إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمس مئة، وجاؤوا إلى دمشق بالأسارى، وكان يوماً[1] عظيماً[2].

وفيها توفي بهاءُ الدين أحمد بن أبي الفَضَائل المِيْهني[3]؛ شيخ رباط الخِلاطية من بيتِ التصوف، وكان أبوه أبو الفضائل عبد المنعم شيخُ المشايخ وسيِّدُ الصُّوفية.

وكان الخليفةُ قد سَلَّمَ إلى بهاء الدين رباط الخِلاطية وأوقافها ثِقَةً فيه من غير مُشْرف ولا عَمَلِ حساب، فأقام مُدَّة يَقْصِدُه النَّاسُ من البلاد وأطراف بغداد، وأرباب البيوت والفقهاء والفقراء والأعيان، فما رَدَّ قاصداً، ولا مَنَعَ سائلاً، وكان له الجاه العظيم، والذِّكْرُ الجميل، وكان له مملوكٌ عبدٌ أسود اسمه ريحان، فخان في الأموال، وبلغ الخليفة، فأخذه فأَقَرَّ، وقال: المال عند أخت بهاء الدين، فَعَزَلَ بهاءَ الدِّين عما كان عليه، فرأى الذُّلَّ والهَوَان بعد العِزِّ والإمكان، ومَرِضَ بهاءُ الدين في تلك الحال، فولَّى الخليفةُ القاضي الزَّنْجانيَّ

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤هـ).

(٢) في المطبوع: وحج بالناس من العراق ابن أبي فراس.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٣٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٠٥، تاريخ الإسلام (ت ١٩٧، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، الوافي بالوفيات: ٧/ ١٥٧.

obeikandi.com

أمر الرِّباط، وحُمِلَ بهاء الدِّين إلى بيت أُخته على نهر عيسى، فتوفي ثامن رجب، ودُفِنَ في الشُّونيزية في صُفَّة الجُنَيْد عند أبيه.

سَمِعَ شُهْدة الكاتبة، وابنَ البَطِّي، وغيرهما، وصحِبَ أباه، وأخذ عنه طريقة التصوف.

وفيها توفي الشيخ العماد الحنبلي[١]، [الزَّاهد العابد، الورع العالم][٢]، ١٠٤
وهو أخو الحافظ عبد الغني، واسمه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور، المَقْدِسي.

ولد بجمَّاعيل سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمس[٣] مئة، وكان أخوه الحافظ أسنَّ منه بسنتين، وهاجر من جمَّاعيل إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، ثم سافر إلى بغداد، وقرأ القرآن على أبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب البطائحي وغيره، وسمع الحديثَ الكثيرَ ببغداد ودمشق، وكان معتدلَ القامة، شَعْرُهُ إلى أُذُنيه، مليحَ الوجه بساماً، عابداً مجتهداً، لا يدَّخر من الدُّنيا شيئاً، حَسَنَ الصَّلاة، كثيرَ السُّجود والدُّعاء، يقرئ القرآن والفِقْهَ دائماً في الحَلْقة بجامع دمشق، ويجتمع إليه الطلبة كلَّ ليلة بعد العِشاء الآخرة، فيحملهم إلى بيته، ويُحْضِرُ لهم من الطَّعام ما تيسَّر، وما تعرَّفَ إلى أحدٍ من أبناء الدُّنيا قط، لا إلى سُلْطانٍ ولا إلى غيره.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤١٣ ـ ٤١٤، مشيخة ابن البخاري: ٢٢٠ ـ ٢٣١، تاريخ الإسلام (ت ٢١٠، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٤٧ ـ ٥٢، العبر: ٥/ ٤٩، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٣١، الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٩٣ ـ ١٠٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢٠، المقصد الأرشد: ١/ ٢٢٦، المنهج الأحمد: ٤/ ١١٩ ـ ١٢٧، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٥٩ ـ ٤٦٣، شذرات الذهب: ٥/ ٥٧ ـ ٦٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في التكملة للمنذري: ولد سنة ٥٤٤ هـ.

obeikandi.com

قال أبو المُظَفَّر: ولا تحرَّك حركةً، ولا مشى خطوة، ولا تكلَّم كلمةً إلا لله تعالى، وكان يتعبَّد بالإخلاص، ولقد رأيته مِرَاراً بالحَلْقة بجامع دمشق، والخطيب يوم الجمعة على المنبر، فيقوم، ويأخذ الإبريق، ويضع بلبلته في فِيْه على رؤوس الأشهاد، ويوهم النَّاسَ كأنَّه يشربُ، وإنه لصائم.

وكان الشيخ موفق الدين يثني عليه، ويقول: أعرف العماد من صِغَره، وما عرفتُ أنه عصى الله تعالى قط. وكان من خيار أصحابنا، وأعظمهم نفعاً، وأشدِّهم عبادةً وورعاً، وأكثرِهم صَبْراً على تعليم القرآن والفِقْه، داعيةً إلى السُّنَّة، أقامَ بدمشق يعلِّم الفقراء، ويُطْعِمُهُمْ، ويبذُلُ لهم ماله ونَفْسَه وطعامه، وكان من أشدِّ النَّاس تواضعاً واحتقاراً لنفسه، وما رأيتُ أشدَّ خوفاً لله تعالى منه، وكان كثيرَ الدُّعاء والسؤال، طويلَ الركوعِ والسُّجود، يصوم يوماً، ويُفْطر يوماً؛ وكان إذا سُمِعَ عليه جُزْءٌ، وكَتَبوا على ظهره: سُمِعَ على العالم الورع، ينهاهم عن ذلك.

وسافر إلى بغداد مَرَّتين: الأولى في سنةِ تسعٍ وستين وخمس مئة صحبة الموفق بعد أن حَفِظَ القرآن وغريب الحديث والخِرَقي، وتفقَّه ببغداد على أبي الفَتْح بن المَنِّي، وأفتى وناظر. والسفرة الثانية سنة إحدى وثمانين صحبة العز ابن أخيه عبد الغني الحافظ، وصنَّف كتاب «الفروق بين المسائل الفقهية» وكتاب «الأحكام»، ولم يتمَّه(١).

قال: وكان يحضُرُ مجالسي دائماً بجامع دمشق وقاسيون، لا ينقطع إلا من عُذْر، ويقول: صلاح الدين يوسف فَتَحَ السَّاحل، وأظهر الإسلام، وأنتَ يوسف أحييت السنة بالشَّام(٢).

قلت: السُّنَّة التي يشير إليها كون أبي المظفر ـ رحمنا الله وإياه ـ كان كثيراً

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

(٢) المصدر السالف.

obeikandi.com

ما يورد على المنبر من كلام جَدِّه أبي الفرج وخُطَبِهِ ما يتضمَّن إمرار آيات صفات الباري عَزَّ وجَلَّ، وما جاء في الأحاديث الصِّحاح من ذلك على ما وَرَدَ مِنْ غير ميلٍ إلى تأويل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ومشايخُ الحنابلة العلماء هذا مختارهم، وهو جيد، لكنَّ الإكثارَ منه على أسماع العوام ربما يحملُ أكثرَهُمْ على شيء من التشبيه، فإذا قَرَنَ به ما يشرحه وينفي تَوَهُّمَ التَّشبيه كان أَوْلى، والله أعلم.

قال أبو المظفر: ولما كان عشية الأربعاء سادس عشر ذي القعدة صَلَّى العمادُ المغربَ بجامع دمشق، وكان صائماً، وأفطر في داره على شيء يسير، فجاءه الموتُ في الليل، فجعل يقول: يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام. وتوفي، فغسل وقت السَّحَر، وأُخرجت جِنازتُهُ إلى جامع دمشق، فما وَسِعَ الناسَ الجامعُ، وصلَّى عليه الموفق بحَلْقة الحنابلة بعد جَهْدٍ جهيد، وكان يوماً لم يُرَ في الإسلام مِثْلُهُ، كان أولُ النَّاس عند مغارة الدم ورأسِ الجبل إلى الكهف، وآخرهم بباب الفراديس، ولولا المبارزُ المعتمد رحمه الله وأصحابُهُ لقطَّعوا أكفانه، وما وصل إلى الجبل إلى آخر النهار[1].

قال: وتأملتُ النَّاس من أعلى قاسيون إلى الكهف إلى قريب الميطور لو ١٠٥
رمى الإنسانُ عليهم إبرةً لما ضاعت. فلما كان في الليل نمتُ وأنا مفكِّر في جنازته، وذكرتُ أبيات سفيان الثوري التي أنشدها في المنام، [وهي][2]:

نظرتُ إلى ربي كِفَاحاً وقال لي　　هنيئاً رضائي عنكَ يا بنَ سعيدِ
فقد كنتَ قَوَّاماً إذا أقبل الدُّجى　　بعَبْرَةِ مشتاقٍ وقلب عميدِ
فدونَكَ فاخْتَرْ أيَّ قَصْرٍ أَرَدْتَهُ　　وزُرْني فإنِّي منكَ غيرُ بعيدِ

وقلتُ: أرجو أنَّ العماد يرى ربه عز وجل كما رآه سفيان عند نزول حُفْرته،

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤هـ)..

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

obeikandi.com

ونمتُ، فرأيتُ العمادَ في النوم، وعليه حُلَّةٌ خضراء، وعِمامة خضراء، وهو في مكانٍ متَّسع كأنه روضة، وهو يرقى في دَرَجٍ مرتفعة، فقلتُ: يا عمادَ الدين، كيف بِتَّ، فإني والله مفكِّر فيك؟ فنظر إليَّ، وتبسَّم على عادته، وقال:

رأيتُ إلهي حينَ أُنْزِلْتُ حُفْرتي وفارقتُ أصحابي وأهْلي وجِيْرَتي
فقال جُزِيْتَ الخيرَ عَنيّ فإنَّني رضيتُ فها عَفْوي لديكَ وَرَحْمَتي
دَأَبْتَ زماناً تأملُ الفوزَ والرِّضى فَوُقِّيْتَ نيراني ولُقِّيْتَ جَنَّتي

فانتبهتُ مرعوباً، وكتبتُ الأبيات[١].

سمع ببغداد أبا محمد الخَشَّاب النَّحْوي، وشُهْدَة الكاتبة، وغيرهما. وبالشَّام أبا المكارم عبدَ الواحد بن محمد بن المُسَلَّم، وعبد الله بن صابر، وغيرهما.

ورثاه الصَّلاح موسى بن الشِّهاب[٢] بأبياتٍ، منها:

يا شيخَنا يا عمادَ الدِّين قد قَرِحَتْ عيني، وقلبي منكَ اليومَ مَتْبُولُ
أَوْحَشْتَ والله رَبْعاً كنتَ تَسْكُنُهُ لكنَّه الآنَ[٣] بالأحزانِ مَأْهُولُ
كم ليلةٍ بِتَّ تُحييها وتَسْهَرُها والدَّمْعُ من خشيةٍ لله مَسْبُولُ
وَسَجْدَةٍ طالما طالَ القنوتُ بها قد زانها منكَ تكبيرٌ وتهليلُ[٤]

قلتُ: كان ـ رحمه الله ـ كثيرَ الصَّلاة، مطيلاً لأركانها قياماً وركوعاً وسُجُوداً، شاهدته مصلِّياً بالجماعة في حَلْقة الحنابلة مراراً، ولم يكن لهم في حياته هذا المحراب الآن، إنما كان يُصَلِّي بالجماعة هو تارةً والموفق تارةً إلى خزانتين مجتمعتين في موضع المحراب الآن إلى سنة سبع عشرة أو نحوها، فجُدِّدَ لهم هذا المحراب، وسببه أن قاضي دمشق جمال الدين يونس بن بدران

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).
(٢) سيأتي ذكره ص ٣٤٧ من هذا الجزء.
(٣) في (ك) و(ع) و(س): اليوم.
(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

حَسَّنَ للسلطان المُعَظَّم عيسى بن العادل أن يجمعَ خزائن الكُتُب التي في الجامع ١٠٦
إلى مشهد ابن عُروة، فنقلت الخزائن من الزَّاوية الغربية، ومن الكلاسة، ومن أروقة الجامع، فكان من جملة المنقول الخزانتان اللتان بحلقة الحنابلة، فبقي مكانُ صلاة إمامهم مكشوفاً، فتعصَّب لهم الرُّكين الأمير المعظَّمي في عمل هذا المحراب، فركِّبَ في ليلة ذلك اليوم، وصَلَّى فيه الشيخ موفق الدين، ومَنْ بعده، ورُدَّتْ الخزانتان إلى الحلقة، فجعلتا عن يمين المحراب ويساره، والشيخ العماد هو الذي سَنَّ الجماعة في الصَّلوات المقضية، فكان يصلي بالجماعة بحلقتهم بين المغرب والعِشاء ما قدَّره الله تعالى، وبقي ذلك بعده مُدَّة. حضرتُ جِنَازته والصَّلاة عليه، رحمه الله.

وفيها توفي القاضي جمال الدين، أبو القاسم عبد الصَّمد بن محمد بن أبي الفَضْل، الأنصاري، ابن الحَرَسْتاني، شيخ القضاة، العالم العادل، المُعَمَّر الزَّاهد[1].

ولد بدمشق سنة عشرين وخمس مئة في أحد الرَّبيعين، وأصل أبيه من قريةٍ بِقُرْبِ دمشق تسمى حَرَسْتا، قَدِمَ دمشق فنزل منزله بباب توما، وأَمَّ بمسجد الزينبي، ثم أَمَّ فيه ابنُه جمالُ الدين بعده إلى أن انتقل إلى مسكنه بالحُوَيْرة قِبْلي الجامع.

شارك الحافِظَ أبا القاسم عليَّ بنَ الحسن ـ رحمه الله ـ في كثيرٍ من مشايخه

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٢٤١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦، مشيخة ابن البخاري: ٢٣١ ـ ٢٤٢، تاريخ الإسلام (ت ٢٢٤، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٨٠ ـ ٨٣، العبر للذهبي: ٥/ ٥٠ ـ ٥١، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٥١ ـ ٤٥٣، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ١٩٦ ـ ١٩٩، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢٠، القضاة الشافعية للنعيمي: ٦٠ ـ ٦٣، شذرات الذهب: ٥/ ٦٠.

obeikandi.com

الدمشقيين سماعاً، وفي الغرباء إجازةً، سمع بدمشق جمالَ الإسلام أبا الحسن علي بن المسلَّم، وعبد الكريم بن حمزة بن الخضر، وأبا الحسن علي بن أحمد بن قبيس المالكي، وغيرهم. ورَحَلَ إلى حلب، فسمع بها من أبي الحسن عليّ بن سليمان المُرَادي الحافظ أكثر كتب الحافظ البيهقي وغيرها، ثم رَجَعَ إلى دمشق، فأقام بها، وكان آخر من حَدَّث عن عبد الكريم الحَدَّاد، وجمال الإسلام سماعاً، وممن أجاز له من أهل نَيْسابور أبو عبد الله الفَرَاوي، وهبة الله بن سَهْل السيدي، وزاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وأبو المعالي الفارسي، وعبد المنعم بن أبي القاسم القُشَيري. ومن أهل بغداد قاضي المارَسْتان، وابن السَّمرقندي، والأنماطي، وغيرهم.

وكان مواظباً للصَّلوات في الجماعات، يصلي في الصفّ الأول بمقصورة الخضر بالجامع قُبالة محرابها دائماً، وهنالك كان يُقرأ عليه الكُتُبَ المسموعة، ويجتمع خَلْقٌ عظيم، مع حُسْنِ سمته، وسكونه وهيبته.

وكان بارعاً في فقهه، حكى لي الفقيه عِزُّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ـ أَيَّده الله وهو الآن حيٌّ بالدِّيار المِصْرية[١] ـ أَنَّه لم يَرَ أفقه منه، وعليه كان ابتداء اشتغاله، ثم صَحِبَ الشَّيخ فخر الدين ابن عساكر رحمه الله، فسألته عنهما، فرجَّحَ ابنَ الحرستاني، وقال: إنه كان يحفظ «الوسيط» للغزالي.

ولي القضاء قديماً نيابةً بدمشق في أيام شَرَفِ الدين بن أبي عَصْرون، وكان يُكتب له في الأسجال: تقي القضاة، ولما أضرَّ شرفُ الدين بقي هو على نيابته مع ابنه محيي الدين بن أبي عَصْرون، فلما عُزِلَ وولي محيي الدين بن الزكي استقلالاً ـ وهو شابٌّ ـ لم ير النيابة عنه، وبقي منقطعاً في بيته إلى أن ولَّاه العادل المدرسة المجاهدية التي في الرصيف، فبقي مواظباً على التدريس بها،

(١) وذلك سنة (٦٥٩ هـ)، وهي سنة كتابة القسم الأول من «المذيل على الروضتين»، كما سلف مراراً، انظر ص١١ من هذا الجزء.

وإسماع الحديث بمقصورة الخضر التي يصلي بها إلى أن عَزَلَ الملكُ العادلُ سيفُ الدِّين أبو بكر بنُ أيوب رحمه الله عن قضاء دمشق في سابع ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وست مئة قاضي القضاة زكيَّ الدين أبا العَبَّاس الطَّاهر بن قاضي القضاة محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي القُرَشي، وأخذ منه مدرسته العزيزية والتقوية، وأعطى التقوية للشيخ فخر الدين ابن عساكر، وأعطى العزيزية مع القضاء لجمال الدين بن الحرستاني، واعتنى به العادلُ اعتناء كثيراً، وأقبل عليه وأكرمه بحيثُ أرسل إليه ما يُفْرَشُ تحته في مجلس الحكم لضعفه وكبره وما يستند إليه، وكان يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية، ونابَ عنه بها عمادُ الدين عبد الكريم، وكان يجلس بين يديه، فإذا قام الشَّيخ يستند مكانه، ثم
إنَّه منعه من ذلك لشيء بلغه عنه، ونابَ عنه أيضاً أكابر شيوخ القضاة يومئذٍ: ١٠٧
شمسُ الدِّين بن الشِّيْرازي ـ فكان يجلس قُبالته في إيوان المجاهدية ـ وشمس الدين بن سني الدولة ـ وبُنيت له دَكَّةٌ في الزَّاوية القِبْلية بغرب المدرسة ـ وشرف الدين بن المَوْصِلي الحنفي بمجلس المحراب بها، وبقي في القضاء نحواً من سنتين وسبعة أشهر، ثم توفي يوم السبت رابع ذي الحِجَّة، وكانت له جِنازةٌ عظيمة حَفْلَةٌ، ودُفِنَ بجبل قاسيون رحمه الله، حَضَرْتُ الصَّلاة عليه بالجامع، وبمقابر باب الفراديس، وكان له يوم توفي خمس وتسعون سنة، ولغرابة ولاية القضاء لِمَنْ هو في هذا السِّنِّ قال شاعر الشَّام في وقته شهابُ الدِّين فِتْيان الشَّاغوري هذين البيتين:

يا مَنْ تَدَرَّعَ في خَمْلِ الخُمُولِ ويا ... معانِقَ الهَمِّ في سِرٍّ وإعلانِ

لا تيأَسَنْ رُوحُ مَنْ نادى لدى مئةٍ: ... قاضي القُضَاةِ الجمالُ بنُ الحَرَسْتاني

على أنَّه ـ رحمه الله ـ امتنعَ من الولاية لَمَّا طُلِبَ لها حتى أُلحَّ عليه فيها، وكان في مُدَّة ولايته صارماً عادلاً، حاكماً بالشَّريعة المُطَهَّرة، جارياً على طريقة السَّلف في لباسه، واقتصاده في أمره، وعِفَّته وصِيانته، وعدم الالتفات إلى

الأكابر في الشَّفاعات في الأحكام، ولقد بلغني أنَّه ثبتَ لديه حقٌ لامرأةٍ على بيت المال، فأحضر الوكيل جمالَ الدين المِصْري، وأمره أنْ يُسَلِّم إليها ما ثبتَ لها، فاعتذرَ بضيق الوقت، وكان في آخر النهار، وقال: في غدٍ أُسلِّم إليها. فقال: ربما أموت أنا الليلة ويتعوق حَقُّها. فقيل: إنها كانت تَدَّعي بُسْتاناً قد وضع النُّوَّاب أيديهم عليه، وقد ثَبَتَ حَقُّها لديه، فأمر الوكيل أن يُسَلِّمَهُ إليها، ويُشْهِدُ عليه بأنه ثَبَتَ حقُّها، ولا دافع له من جهة بيت المال، فاستمهله إلى الغد لدخول المساء، وكان قد أُشعلت القناديلُ وهم بالمدرسة، فقال القاضي: ربما أموت أنا الليلة، وترجع أنت أيها الوكيل ربما تعنِّتُهم، وتطلبُ إعادة البَيِّنة عند الحاكم الذي يقوم بعدي. فوكَّل به مَنْ لا يفارقه حتى يُسَلِّمَ [إليها][1] البُسْتان، ويشهد عليه بذلك، وقام القاضي، وأخذ سَجَّادته على كَتِفِه، ومشى ليصلي بالجامع على عادته بمقصورة الخَضِر، فوافق وصولُه إلى الجامع أذانَ المغرب، فصلَّى، ومضى إلى بيته، وكان أوصى إذا أشهدَ الوكيلُ عليه أن يحملوا الكتاب إليه ليقف على ذلك، فجاءه الكتاب إلى داره، فوقَفَ عليه، فلمَّا عَلِمَ أنه قد استقصى حَقَّ المرأة سَلَّم كتابها إليها. وقيل: إنه كان مالاً بالمخزن، فمازال به حتى أنفذ إلى أُمناء الحَشْرية، فجمعهم، وفتحوا مخزنهم بقيسارية الفرش، ودفعوا إلى المرأة حَقَّها.

قال أبو المُظَفَّر سِبْط ابن الجوزي: كان القاضي جمال الدين بن الحَرَسْتاني زاهداً عفيفاً، عابداً وَرِعاً نَزِهاً، لا تأخذه في الله لومةُ لائم. واتفق أهلُ دمشق على أنه ما فاتته صلاةٌ بجامع دمشق في جماعةٍ إلا إذا كان مريضاً، ينزل من بيته من الحُوَيرة في سُلَّم طويل، فيصلي ويعود إلى داره ومُصَلاه بيده. وكان مقتصداً في ثيابه وعيشه، وما كان يمكِّنُ أحداً من غِلْمان القُضَاة يمشي معه، بل كأنَّه بعضُ النَّاس[2].

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س).

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

قال: وحكى لي ولده قال: كان أحد بني قوام يعامِلُ الملكَ المُعَظَّم عيسى في السُّكَّر، ويتَّجِرُ له، فماتَ ابنُ قوام، فطرح ديوان المعظم يده على تركة ابن قوام، وبعث المعظم إلى القاضي يقول له: هذا الرجل كان يتاجر لي بمالي، والتركة لي، وأريد تسليمها[1]. فأبى عليه إلا بثبوت شرعي.

وحكى لي جماعةٌ من الدماشقة: أنَّ الملكَ العادل سيفَ الدِّين كَتَبَ لبعض خواصِّه كتاباً يوصيه به في حكومةٍ بينه وبين رَجُلٍ، فجاء إليه، ودفع إليه الكتاب، فقال: أيش فيه؟ قال: وصية بي. قال: أحضِرْ خَصْمَك. فأحضره والكتاب بيده لم ١٠٨
يفتحه، وادَّعى على الرجل، فَظَهَر الرَّجلُ على حاملِ الكتاب، فقضى عليه، ثم فتح الكتاب، وقرأه، ورمى به إلى حامله وقال: كتابُ الله قد حَكَمَ على هذا الكتاب. فمضى الرَّجلُ إلى العادل، وبكى بين يديه، وأخبره بما قال، فقال العادل: صَدَقَ؛ كتابُ الله أَوْلى من كتابي. وكان يقول للعادل: ما أحكم إلا بالكتاب والسُّنَّة، وأنا ما سألتك القضاء، فإنْ شِئْتَ، وإلا فأبصر غيري[2].

قال: وحكى لي الشمسُ ابنُ خلدون رحمه الله، قال: أحضر ولدُه القاضي عماد الدِّين بين يديه صحن حلواء مسخنة، وقال: يا سيدي كُلْ منه. فغَضِبَ، وقال: من أين هذا؟ تريد أن تدخلني النَّار؟ ولم يأكل[3].

قلتُ: غَلَبَ على ظنِّه أنه هديةٌ ممن له حكومة. وبلغني أنَّ ولده هو الذي أَلَحَّ عليه في تولية القضاء على كُرْهٍ منه.

---

(١) في المطبوع: فأرسل إليه القاضي يقول: لا أسلم إليك تركته حتى تحلف أنك تستحقها، فقال المعظم: والله ما أحقق مالي عنده. فقال القاضي: وأنا والله ما أسلم إليك حتى تحلف. فما حلف المعظم، ولا أثبت القاضي له شيئاً.

قلت: وهذه الزيادة هي في «مرآة الزمان»، وقد أغنى عنها ما أجمله أبو شامة بقوله: فأبى عليه إلا بثبوت شرعي.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

(٣) المصدر السالف.

obeikandl.com

وحكى(١ لي ولده المذكور قال: جاء إليه شرف الدين بن عُنين، فجلس إلى جانبي قُبالته وقال له: السُّلْطان يُسَلِّم عليك، ويوصي بفلانٍ، فإن له محاكمةً في كذا وكذا. فَغَضِبَ، وقال: الشَّرْعُ ما يكون فيه وصية، لا فرق بين السُّلْطان وغيره في الحق. فقال: يا سيدنا صحيح. فقال: إذا كان صحيحاً، فأيش حاجة إلى قولك، قال السُّلْطان قال! وكان إذا غَضِبَ من رسائل أرباب الحاجات يأخذ سَجَّادته على كتفه، وينهض من المجلس١).

وتولى القضاء بعده مَنْ كان القاضي قبله زكي الدِّين الطَّاهر بن محيي الدين، ثم إنَّ ولده تولى نيابة الحُكْم بدمشق عن القاضي شمس الدين أحمد بن الخليل الخُوَيِّي عام حج، ثم تولاه استقلالاً، ثم تولَّى خَطَابةَ جامعِ دمشق، وهو الآن خطيبه(٢)، والله الموفق.

وفيها استُشْهد الأمير بدرُ الدِّين محمدُ بنُ أبي القاسم بنِ محمد الهكَّاري(٣) بالطُّور ـ على ما تقدَّم شَرْحُه(٤) ـ بعد أن أبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً، وكان من المجاهدين، له المواقف المشهورة في قتال الفرنج، وكان من أكابر أمراء المعظَّم، يستشيره، ويَصْدُرُ عن رأيه، ويثقُ به لصلاحه ودينه، وكان سَمْحاً، دَيِّناً، لطيفاً، وَرِعاً، بارًّا بأهله وبالفقراء والمساكين، كثيرَ الصَّدقات، دائم الصَّلات، بنى بالقُدْس مدرسةً للشَّافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجداً قريباً من الخليل عليه السَّلام عند قبر يونس عليه السَّلام على قارعة الطَّريق، وكان يتمنَّى الشَّهادة دائماً، ويقول: ما أحسنَ وَقْعَ سيوفِ الكُفَّار على وجهي

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) يعني سنة (٦٥٩ هـ)، وهو تاريخ كتابة القسم الأول من «المذيل على الروضتين»، انظر ص١١ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٢٥٣، وفيات سنة ٦١٤هـ)، الوافي بالوفيات: ٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥١، السلوك: ج١/ ق١/ ٢٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢١.

(٤) انظر ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ من هذا الجزء.

وأنفي. فاستجابَ الله دعاءه، ورَزَقَه الشَّهادة، ونُقِلَ من الطُّور إلى القُدْس، فدفن بتربته بمامَلَّه، وهي المقبرة التي تزار بالقدس الشَّريف.

وفيه توفيتْ بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللُّوز(١)، وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر.

وفيها توفيتْ بنت بورنجان بدمشق، وهي آخر بناته وفاةً، وانتقل ما خلَّفته من الأملاك إلى الوقف المشهور عن أختها الكبرى بنت العضبية(٢).

وفيها توفي الشجاع محمود، المعروف بالدِّماغ(٣) في ذي القَعْدَة، وكان من أصدقاء العادل في زمن الشبيبة، وبقي معه في زمن السلطنة مضحكاً له، وحصلت له ثروة عظيمة، وداره بدمشق جعلتها زوجته عائشة مدرسة للفريقين(٤): الحنفية والشافعية، بحضرة باب الفرج(٤).

ثم دخلتْ سنةُ خمس عشرة وست مئة

ففيها نزلتِ الفرنج على دِمْياط في ربيع الأول، وكان العادل بمرج الصُّفَّر،

---

(١) ذكرها الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٦٩ في ترجمة ابنها قاضي الخليل محمد بن عبد القادر بن ناصر بن الخضر بن علي الأنصاري قال: ويعرف بابن العالمة، ثم ذكر أن أمه كانت عالمة تحفظ القرآن، وشيئاً من الفقه والخطب والمواعظ، وتكلمت في عزاء السلطان الملك العادل، وتعرف بدهن اللوز.

قلت: وكلامه لا يستقيم إذا صحت وفاتها في هذا العام، إذ كيف تكلمت في عزاء العادل، وقد توفيت قبله!

ثم ذكر ترجمة أخرى لابن آخر لها سماه أحمد بن أسعد بن حلوان الحكيم البارع، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، انظر «الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) في (ب) و(ك) و(ع): العضبة، وفي (س) خرم مقدار ورقة.

(٣) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٢٥٥، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، السلوك: ج١/ق١/ ٢٢٣، الدارس: ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، شذرات الذهب: ٥/ ٦١، منادمة الأطلال: ٩٧، ١٧١.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في (ك) و(ع).

obeikandi.com